تدريس اللغة العربية لأغراض أكاديمية
في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة

للدكتور مفيق حسن دوشق
جامعة اليرموك

١- مقدمة

اهتمت الدراسات الأسلوبية، قديمها وحديثها، بالتركيز على دراسة الأساليب الأدبية، كدراسة أسلوب الفرد، كاتباً كان أو شاعراً أو دراسة مجموعة الأساليب التي تشكل مدرسة أدبية أو شعرية، أو دراسة الحركات الأدبية بشكل عام، إلا أن اللغويين في ضوء التقدم والتشعب في مختلف العلوم اللسانية، أضافوا إلى الدراسات الأسلوبية الحديثة سمة أعم وأشمل من ذي قبل، فقد اهتم الباحثون في مجال الأسلوبية الحديثة بالتركيز على تنوعات اللغة المختلفة، الأدبية والعلمية والقانونية وغيرها. وأصبح من أهم أهداف التحليل السياقي (النصّي) دراسة أفضل الطرق الكتابية التي يمكن أن يتبعها الكاتب لإحداث أنجح أثر في السامع أو القارئ.[١]

أمّا فيما يتعلق بالدراسات الأسلوبية العربية، فغني عن القول إنها قد قطعت شوطاً بعيداً فيما تقدمه للدراسات الأدبية والنقد الأدبي، فقد حظي الأدب العربي، شعره ونثره، قديمه وحديثه، بكثير من التحليل والدراسة. إلا أن الدراسات الأسلوبية، بمعناها الحديث الشامل، تكاد تكون معدومة وخاصة تلك المتعلقة باللغة العربية لأغراض أكاديمية، فلم تحظ اللغة العربية المستعملة في مجالات العلوم والطب وغيرها باهتمام الأسلوبين العرب وأدى تركيزهم على دراسة الأنماط الأسلوبية الأدبية إلى إهمال الأنماط الأسلوبية الأخرى، مما أدى بالتالي إلى الاهتمام بتدريس تلك الأنماط الأدبية دون غيرها، وكأن الهدف من تدريس اللغة العربية هو

تخريج الأدباء والشعراء والنقاد[٢]، وكان لذلك الاتجاه وما زال، آثار سلبية في تطور اللغة العربية التي يطمح أهلها في أن تصبح لغة العلم والتكنولوجيا ولغة التدريس والكتابة في الجامعات والمعاهد العليا.

٢- أهداف الدراسة:

بينا في دراسة سابقة[٣]، في معرض ردنا على اتهامات بعض المغرضين للغة العربية بأنها قاصرة، ولا تصلح لغة علم وتدريس في المعاهد العليا والجامعات، أن هذه اللغة تملك من الخصائص والمؤهلات ما يجعلها أداة ناجحة في التعبير الناجح عن جميع الوظائف اللغوية التي يمكن أن تعبر بها أية لغة "علمية" أخرى وأكدنا في تلك الدراسة أن القصور يكمن في القائمين على شأن هذه اللغة، وأوصينا بأن تقوم دراسات جادة للتعرف على مشاكل دراسة اللغة العربية وتدريسها، ونأمل أن تكون هذه الدراسة محاولة متواضعة لإبراز أهم المشكلات التي يواجهها الطلبة في الجامعات والمعاهد العليا عند الكتابة باللغة العربية لأغراض أكاديمية. وسنحاول في الدراسة الحالية إبراز نقاط الضعف المهمة في مقالات الطلاب، محللين أسبابها، ومن ثم سنحاول اقتراح بعض التوصيات التي نرى أنها ذات أهمية في هذا المجال.

٣- المشكلة وطريقة البحث:

اقتصرت معظم الدراسات والأبحاث في مجال تعليم الكتابة باللغة العربية على مستوى المفردات والجمل، وتركز تحليل أخطاء الطلاب في الغالب، على هذين المستويين، إلا أن الدراسات الحديثة وملاحظات الباحثين في مجال الكتابة لأغراض أكاديمية أثبتت أن اتخاذ الجملة وحدة للتحليل لا يكفي، وأن الحكم على مقدرة الطالب الكتابية من هذه المنطلق سيكون غير دقيق. فقد يتقن الطالب قواعد الإملاء والصرف والنحو في اللغة العربية وتكون مقالته أو بحثه، في الوقت نفسه،

غير مرض، فالمطلوب إذا هو نظرة أشمل وتحليل أوسع لمظاهر الضعف وأسبابه. والدراسة الحالية تذهب إلى أبعد من نطاق الجملة وتتبع اتجاهاً شمولياً في دراسة أخطاء الطلاب وتحليلها، مركزة على الأنماط الأسلوبية لأغراض أكاديمية.

٤- عينة الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على تفحص الأخطاء الأسلوبية وتحليلها في أكثر من مائة مقالة كتبها طلاب جامعيون في مختلف التخصصات وفي مختلف السنوات الجامعية، وقد طلب إلى جميعهم كتابة مقالة بعنوان "التعليم العالي في الأردن وأثره في الوطن والمواطن" وقد طلب إليهم أيضاً بيان رأيهم في التعليم العالي في الأردن، ومناقشة مشاكله، واقتراح بعض الحلول للنهوض به.

٥- التحليل والمناقشة:

يتناول هذا الجزء من الدراسة تحليل أهم مواطن الضعف في كتابة الطلبة، ومناقشة بعض مصادر ذلك الضعف، مبينة القدرة الكامنة التي تتحلى بها اللغة العربية التي يمكنها أن تخدم الكاتب وتسعفه إذا هو أخلص النية وعقد العزم على سبر غور تلك الإمكانات اللغوية والبيانية الخصبة، واستعمالها للتعبير عن غاياته الكتابية المختلفة. وما دمنا نؤمن أن أي فصل بين مستويات اللغة المتعددة هو فصل اصطناعي، غير واقعي من وجهة نظر علوم اللغة التطبيقية، فإن فصلنا بين تلك المستويات سيكون مؤقتاً، لأغراض التحليل والمناقشة فقط. لذلك فإننا سنتناول في هذه الدراسة نشاطاً أكاديمياً واحداً هو المقالة التعليمية من حيث: التنظيم العام للمقالة، وترابط الأفكار ووحدة الموضوع، وبلاغة المعاني والتراكيب وحسن اختيارها، وسلامة التراكيب ودقتها.

١٠٥ التنظيم العام للمقالة التعليمية:

لا شك أن المقالة الحديثة بأطرها المختلفة لم تكن معروفة لدى كتاب التراث العربي الإسلامي، وخاصة ما يتعلق منها بالتوزيع إلى فقر وباستعمال علامات الوقف والتعجب والاستفهام وغيرها، إلا أن أسس تلك المقالة أخذت تشق طريقها إلى الكتابة العربية منذ بداية القرن التاسع عشر، وأصبحت مألوفة لدى الكتاب العرب، غير أنه يبدو أن هناك بعض اللبس والغموض فيما يتعلق بوظيفة الفقر في المقالة، وفلسفة وجودها واستعمالها. فالأسلوبيون المعاصرون يقسمون المقالة التعليمية إلى مقدمة ومتن وخاتمة، إلا أن معظم المقالات، موضوع هذا البحث، قد خلت من هذا التقسيم وبدأ معظمها، على الرغم من أن كاتبيها ممن هم على أبواب التخرج في الجامعة، تنقصه عناصر الشكل المقبول للمقالة التعليمية، فبعض هذه المقالات كان عبارة عن فقرة واحدة تزيد في عدد سطورها على العشرين وبعضها كان يبدأ بفقرة من سطرين يتبعها بقية المقالة في فقرة واحدة متصلة. أضف إلى ذلك أن شكل المقالة من حيث الترتيب والهوامش ووضع العنوان والترقيم قلما كان موفقاً، وبدت المقالة رغم أنها كانت واجباً بيتياً، أشبه برسالة شخصية كتبت من غير اكتراث.

أما من حيث المضمون، فلنا الملاحظات التالية مدعمة بأمثلة من مقالات الطلبة:

أولاً: خلت معظم المقالات من المقدمة، وكان كثير من الطلبة "يهجم" على الموضوع دون تمهيد مناسب، ومن غير أن يبين ما اعتزم الكتابة عنه. ومن ناحية أخرى، فإن كثيراً من المقدمات كانت غير موفقة من حيث المضمون ومن حيث مناسبتها للمقالة بشكل عام. لنتأمل هذه الفقرة التي يجب أن تكون مقدمة لموضوع التعليم العالي في الأردن. (نقلت جميع الأمثلة حرفياً دون تصويب).

"إن الانسان بطبيعته مفطور على حب التعليم والمعرفة فالانسان منذ القدم وهو يبحث ويفكر بما حوله من الطبيعة فعن الشمس تارة وتارة أخرى عن القمر، لكن حب الانسان الشغوف لمعرفة ما يحيط به يشجعه على الحصول على التعليم الذي يوصله لادراك ما هو حوله تماما ومن هذا المنطلق يسعدني أن أبدأ حديثي عن التعليم العالي في الأردن".

ولنتأمل معا الفقرة التالية لطالبٍ في سنته الجامعية الثانية:

"لقد كان من الصعب على الناس أن يأخذوا بفكرة التعليم العالي لفترة زمنية طويلة ولكنها فكرة لا بأس بها اذا ما أخذت فترة اربع أو خمس سنوات كافية لتعليم الفرد بها القراءة والكتابة على سبيل المثال في الاردن كانوا يأخذون بنفس الاعتقاد لفترة وجيزة تقارب الستينات".

المتأمل في هذه المقدمات يدرك أنها مقدمات ركيكة، غير مناسبة، فيها تكرار غير ضروري، واختيار غير موفق للمفردات وفوق ذلك، لا يكاد القارئ يفهم منها شيئاً أو يستشف منها ما اعتزم الكاتب أن يقوله في مقالته، ناهيك عن الإهمال الشديد للترقيم، فالفقرة الثانية، على سبيل المثال تبدو كأنها جملة واحدة لخلوها من علامات الترقيم.

ثانياً: عرض الموضوع ومناقشته أو ما يسمى متن المقالة:

من المفروض أن يتضمن هذا الجزء من المقالة المطلوب كتابتها لأغراض هذه الدراسة، تعريفاً بالتعليم العالي في الأردن وأثر ذلك في الفرد والمجتمع، وعرضاً لمشاكل هذا القطاع من التعليم، وبعض الاقتراحات للنهوض بهذا النوع من التعليم وتوسيعه، إلا أن معظم كاتبي المقالات اكتفوا بوصف حال التعليم العالي في الأردن دون تجشم عناء المناقشة وإبداء الرأي فيما يتعلق بمشكلات هذا التعليم ومستقبله.

ثالثاً: خاتمة الموضوع: يتضمن هذا الجزء الأخير من المقالة، في الغالب. تلخيصاً أو استنتاجاً أو كليهما، فيحاول الكاتب إشعار القارئ أنه على وشك إنهاء مقالته. إلا أن معظم المقالات تحت الدراسة لم تتضمن شيئاً من هذا القبيل، فالقارئ لا يشعر بقرب نهاية المقالة إلا عندما يرى بياض الورق (المساحة غير المغطاة بالحبر).

٢٠٥. الترابط المنطقي والسياقي: يتمثل الأسلوب المؤثر في التعبير في مقدرة الكاتب على اختيار المفردات والتراكيب المناسبة للموضوع وعلى حسن الربط بين جمله وفقراته المختلفة، ولأهمية هذا المستوى من التعبير فإننا سنوليه بعضاً من التفصيل.

١٠٢٠٥. اختيار المفردات: حسن اختيار المفردات بحيث تكون المفردة أوفى مثيلاتها في التعبير عن المعنى بدقة مطلب أساس للتعبير الناجح. ويجب أن تكون المفردات المنتقاة سهلة، ذات وقع حسن على النفس، وأن يكون بناؤها قوياً، متماسكاً سلساً، وقد تناول كثير من كتب التراث هذا الموضوع بالتفصيل.[٤]

لكن لو تفحصنا مقالات الطلبة الجامعيين في ضوء هذه المعطيات، لاستغربنا وجود الكثير من المفردات غير المناسبة، بل إن كثيراً منها كلمات عادية متداولة أو عامية، لا تنم عن ثقافة عميقة أو مطالعة جادة. والأمثلة على ما ذهبنا إليه هنا كثيرة نقتطف منها ما يلي:

"بعض الطلاب الذين يحصلون على بعثة يدفعون رسوماً مخفضة وأحياناً يتعلمون بالمجان والذي يحصل على منحة يدفع كمية من النقود، في هذه الجامعات يتعلمون مواضيع مختلفة كالإنكليزي والعربي".

"يذهب الطلاب إلى الجامعة في سن الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ويجب أن يكون لديهم علم بأحد اللغات الأجنبية وحصولهم على التوجيهي أولا".

٢٠٢٠٥. التركيب والنص: الترابط المعنوي والمنطقي بين المفردات والجمل وتماسك العبارات، وتلاؤم التراكيب مع ما تؤديه من معنى، من أهم مقومات التعبير الحسن، فحسن اختيار التراكيب، وحسن الربط بينها يؤدي إلى وضوح النص وسهولة فهمه من القارئ، ولا نعني هنا بالوضوح السطحية وسرد البدهيات المعروفة، وتجنب العمق والأصالة في الآراء وعرضها(٥)، بل الوضوح المقصود به تجنب الغموض والتعقيد سواء أكان ذلك على مستوى المفردات أم على مستوى التراكيب أم على كلا المستويين.

أما بالنظر إلى مقالات الطلبة موضوع هذه الدراسة فقد اتسم كثير منها بعدم الترابط والغموض وعدم التركيز، والمقتطفات التالية توضح ذلك.

"وانه لمن أبرز الدلائل على خطوات بلدنا في مجال التعليم هو النحو التعليمي فكان نقطة انطلاق لدخول العلم إلى كل بيت، إن للجامعة أثر كبير في إنشاء التعليم، فقد ساهم إنشاء التعليم العالي إلى درجة الحصول على الماجستير، فكان عدد لا بأس به من خريجي الدراسات العليا في مختلف التخصصات ناهيك عن عدد خريجي درجة البكالوريوس.

"من مقالة طالب في سنته الجامعية الرابعة"

"التعليم في الأردن تقدم إلى أن أصبح في مرحلة من التقدم والتعقيد منذ ذلك الوقت".

"من مقالة طالب في سنته الجامعية الثانية"

ما هي ماهية هذا التقدم؟ وما المقصود بالتعقيد هنا؟ وأي وقت" ذلك الوقت؟ "لم يفسر أياً من هذه العبارات في مقالته.

والأمثلة التي سقناها في ١٠٥. أعلاه تزخر بمثل هذا النوع من الغموض والإبهام، والركاكة فلنتأمل هذه العبارة:

"لقد كان من الصعب على الناس أن يأخذوا بفكرة التعليم العالي لفترة زمنية طويلة ولكنها فكرة لا بأس بها إذا ما أخذت فترة أربع إلى خمس سنوات كافية لتعليم الفرد بها القراءة والكتابة".

وبعد، فهل يفهم القارئ من هذه القطعة شيئاً؟ هل يوجد أي ترابط فكري أو منطقي أو لغوي في هذا النص الذي هو عبارة عن مقدمة الكاتب لمقالته؟ هل تعلم مثل هذا الطالب طوال السنوات الثمانية التي قضاها في المدارس الثانوية وفي الجامعة شيئاً يمتّ إلى التعبير السليم بصلة؟

والأمثلة على عدم وجود ترابط فكري أو منطقي أو لغوي بين أجزاء الفقرة الواحدة كثيرة، ناهيك عن تلك التي تبين مدى تفكك الموضوع أو النص كله وعدم ترابط جمله وفقره، علاوة على عدم ترابط أفكاره، وافتقارها إلى المناقشة المنطقية المتسلسلة.

٣٠٢٠٥. العرض والتأثير: من أهم ركائز الأسلوبية الحديثة التركيز على كيفية التواصل الناجح الفعال، فالكاتب الناجح هو الذي يعرف كيف يعرض موضوعه بلباقة وإقناع وتأثير في القارئ من غير أن يؤرقه أو يضيع وقته، ألم ير السلف الصالح من البلغاء العرب أن البلاغة "هي أن يبلغ

المتكلم ما يريد من نفس المخاطب بإصابة مواقع الإقناع من العقل والتأثير في القلب"[٦]. وفوق ذلك كله، فمن أسرار البلاغة الاحتراز من التكرار الممل والإيجاز المخل، وبكلمات أخرى، فالمهم هو إعطاء الموضوع حقه من العرض والمناقشة دون زيادة أو نقصان.

إلا أنه يبدو أن هذه الميزة الأسلوبية المهمة مغفلة، إلى حد كبير، في مقالات طلبتنا، فكثير من هذه المقالات بدت كأنها برقيات. فجملها قصيرة متلاحقة ولكنها غير مترابطة، وسبب ذلك يعود في كثير من الأحيان إلى عدم استعمال الروابط اللغوية والمنطقية، وفي غالبية الأحيان التي استعملت فيها تلك الروابط، سيطرت "الواو" أداة رابطة دون غيرها، على الرغم من أن اللغة العربية غنية بمثل تلك الأدوات، والأفعال وأشباه الجمل، التي تضفي على النص ترابطه وانسيابه، كما سنبين في ٠٢٠٣٠٥، من الدراسة.

ومن الأمثلة الكثيرة على الإيجاز غير المؤثر نكتفي بالمثال التالي:

"الأردن بلد نام، ومع ذلك فإننا نلاحظ بأن سياسة الدولة التربوية التركيز على التعليم العالي، في الأردن ثلاث جامعات إضافة لكليات المجتمع، كما أن أعداد الطلاب في ازدياد، إن تركيز الحكومة يتعدى التعليم الأكاديمي.... تركز برامج التربية في الأردن على الاهتمام بميول التلاميذ لتلبية حاجيات المجتمع المحلي والدول المجاورة".

هذا هو كل ما كتبه أحد الطلاب عن التعليم العالي في الأردن وأثره في الوطن والمواطن ومشكلاته وطرق حلها.

من ناحية أخرى، اتصفت بعض المقالات بالتكرار والإسهاب غير المفيدين لأنهما لا يضيفان أية معلومات جديدة أو أي جمال بلاغي أو أسلوبي على المقالة، ومثال ذلك: بدأ أحد الطلبة مقالته قائلاً:

"التعليم العالي هو متابعة في الجامعات والمعاهد الأردنية الأكاديمية والمهنية للمساعدة في تطوير المجتمع المحلي ورفده بالكوادر التعليمية المتخصصة في جميع المجالات".

ويستطرد قائلاً في الفقرة التي تلي هذه المقدمة:

"إن الجامعات الأردنية هي صورة واضحة للتعليم وللتركيب التعليمي المتنوع في المجالات الأكاديمية والعلمية، والمهنية التي تستطيع أن تساعد على نشأت أجيال جديدة قادرة على التحسن والتطور والنهوض.

٣٠٥. اللغة وسلامة التراكيب: لا شك أن الكتابة المؤثرة الواضحة تعتمد على توافر عدد من المهارات لدى الكاتب منها: معرفة قواعد اللغة صرفاً ونحواً، ومعرفة الأنماط البلاغية البيانية لتلك اللغة، والقدرة على تحليل المعلومات وتصنيفها، وفوق ذلك، الإحساس العام بما يناسب الموضوع من هذه العوامل مجتمعة، وقد بينا في مقدمة هذه الدراسة، أن معالجة الأخطاء الصرفية والنحوية البحتة ليست من أهدافنا هنا، على الرغم من إيماننا بأهميتها في الكتابة الصحيحة البعيدة عن اللحن والأخطاء الشائعة، إلا أننا سنتناول هذا المستوى- ونعني المستوى التركيبي- من منظور علم النحو الوظيفي.

لا شك أن لكل تعبير في اللغة وظيفة يؤديها وأن أي اختلاف في التعبير على أي مستوى أكان مستوى لفظياً أم متعلقاً بالتأخير والتقديم في أجزائه أو بالحذف أو بالزيادة، سيؤدي بطبيعة الحال، إلى تعديل أو تغيير في وظيفته.

ودرجة إحاطة الطالب بالعلاقة الوثيقة بين التعبير والوظيفة لها أكبر الأثر في أسلوبه الكتابي أو الخطابي. ولعلم النحو الوظيفي وعلم المعاني يعود الفضل فيما ينادي به العاملون في ميدان علوم اللغة التطبيقية وتعليم اللغات من تركيز على الوظيفة التواصلية للغة، فائتلاف الألفاظ ووضعها في الجملة بالشكل المناسب يفرضه على الكاتب المعنى المراد نقله والأثر المراد إحداثه في القارئ أو السامع، وهذا أمر ليس جديداً على التراث العربي، إلا أنه، وللأسف الشديد، لم يعمل به، فهذا عبدالقاهر الجرجاني يقول:

"واعلم أن ليس النظام إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو"(٧).

فعلم معاني النحو أو ما يسمى حديثاً "النحو الوظيفي" يأخذ بعين الاعتبار مدى تطابق التعبير مع المعنى المراد إيصاله، فقد نجد في العربية عدداً من التراكيب لا يعدو إعرابها النحوي المبتدأ أو الخبر، من مثل قولنا: زيد كريم، الكريم زيد، زيد هو الكريم، فإذا ما اكتفينا بهذا الإعراب بدت هذه العبارات جميعاً على قدم المساواة، في حين أنها تختلف في مدلولاتها المعنوية اختلافاً كبيراً(٨).

أمّا فيما يتعلق بمقالات الطلاب فسنركز على موطني ضعف لهما علاقة بالنحو هما الإحالية (الضمير العائد) وأدوات الربط المنطقي (الفكري).

١٠٣٠٥. الإحالية: تتمثل أخطاء الطلاب في هذا الباب في نوعين مهمين هما: خطأ استعمال الضمير العائد أو غموضه من ناحية، وعدم إدراك الوظيفة الأسلوبية للضمائر أو أسماء الإشارة أو الاسم الموصول من ناحية ثانية، والأمثلة على هذين النموذجين من الأخطاء تكاد لا تخلو منها مقالة واحدة من المقالات موضوع هذه الدراسة:

"على الرغم من ذلك فلا يزال طلاب الثانوية يواجهون المشكلات في طريق إكمال دراستهم وذلك بسبب محدودية أعداد الطلاب التي تستطيع الجامعات تدريسهم، تقبل الجامعات الأردنية الطلاب حسب علاماتهم في التوجيهي ويؤخذ بعين الاعتبار بعض الاعتبار في حالات خاصة تؤهلهم للحصول على درجة البكالوريوس".

هذا المثال يبين عدم وضوح استعمال الضمائر العائدة، كما يبين أن الطالب لجأ إلى عائد لاسم متقدم عليه كثيراً في الجملة، ويفصل بينه وبين الضمير جملة أخرى، وكان الأولى بالطالب أن يضعها بين فارزتين ليوضح أنها جملة معترضة، مما يسهل على القارئ فهم علاقة الضمير العائد بالاسم الذي يعود عليه.

وهذه أمثلة أخرى تبين التكرار غير الضروري للأسماء والضمائر والاستعمال الخاطئ للضمائر.

"فإن عدد المتعلمين ازداد وعدد الأخصائيين والتربويين تزايد عددهم عن الوظائف المتوفرة وما زالت هناك بلدان عربية محتاجة إلى معلمين وتربويين لمساعدتهم".

" وأعلى دراسة كان يحصل عليها الطالب هو الثانوية العامة".

"في الوقت الحالي نجد أن معاهد العلم والمدارس ذات التعليم العالي أصبحت في وضع جيد..".

٢٠٣٠٥. الروابط الأسلوبية والمنطقية: هناك أنماط مختلفة وأشكال عدة للروابط الأسلوبية والمنطقية في اللغة العربية تتراوح بين الأدوات البسيطة مثل: الواو، والفاء، وكي، ولكي، ولأن، وشبه الجملة مثل: بالإضافة إلى ذلك، ومع ذلك وبذلك، ورغم ذلك.... إلخ فاللغة العربية غنية بالصيغ

التي تبين العلاقات المنطقية بين الجمل والفقر في النص، ومن أهم تلك الصيغ على سبيل المثال لا الحصر:

- صيغ تبين علاقات السبب والمسبب/ السبب والنتيجة أو الأثر، مثل لأن، بسبب أن، والسبب في... ونتيجة ذلك، وبناء عليه... إلخ.
- صيغ تبين علاقة التضاد والمقابلة والاستدراك، مثل: لكن، على أية حال، على عكس ذلك، على عكس ما تقدم، ومع ذلك، إلا أن، ونقيض ذلك، وبدلاً من ذلك، وأفضل من هذا... إلخ.
- صيغ تبين علاقة المشابهة والاستطراد، مثل: الواو، وثم وبالإضافة إلى ذلك، أضف إلى ذلك، ومثل ذلك، وأكثر من ذلك... إلخ.
- صيغ تبين علاقة التتابع المنطقي والتسلسل الزمني مثل: أولاً وثانياً بعد ذلك، في أثناء ذلك، حينئذ... إلخ.
- صيغ تفيد الانتقال من فكرة إلى أخرى، مثل:
  والآن، وبعد أن...، أما فيما يتعلق بـ... إلخ.
- صيغ تفيد الاستنتاج والتلخيص، مثل: نستنتج من ذلك، وخلاصة ذلك القول، وهكذا، ... إلخ.

هذا بالإضافة إلى كثير من الأدوات والصيغ التي لا مجال لحصرها في هذه الدراسة، وكل ذلك يوضح غنى اللغة العربية من الناحيتين الأسلوبية والمنطقية، إلا أن تفحصنا لمقالات الطلبة أثبت لنا ما يلي:

١. عدم تمكن غالبية الطلبة من تلك الصيغ والروابط المنطقية والأسلوبية، وعدم إدراكهم لوظائفها المختلفة التي أوضحنا بعضاً منها، مما جعل كثيراً من

جملهم وأفكارهم تبدو غير مترابطة أو غير منطقية، إمّا لعدم وجود تلك الروابط أو لاستعمالها الخاطئ أو حشوها دون مبرر، مثال ذلك:

"إن التعليم العالي في الأردن ليس شاملاً لجميع التخصصات التي في الدول المتطورة والمتقدمة ولكن ومع ذلك إلا أن له أهمية.."

"إن أفضل ما توصلنا إليه هو بناء جامعتين لتخريج الطلاب وتعليمهم ولكن ليس في المستوى المطلوب حيث انه لا يوجد ما يسمى بالدراسات العليا".

٢. المبالغة والمغالاة في استعمال حروف العطف والاستدراك مثل واو العطف، والفاء ولكن، وندرة استعمال سواها من الروابط، ففي إحدى المجموعات، على سبيل المثال، أخذت عينة عشوائية مكونة من عشر مقالات وأحصيت فيها أدوات الربط وصيغه، فدلت الإحصائية على أن مجموع ما استعمل من روابط في تلك المقالات لم يزد على خمس وأربعين: استعملت "الواو" ثلاثين مرة، واستعملت "لكن" خمس مرات، واستعملت" بالإضافة إلى "مرتين، واستعملت "لأن" مرتين أمّا باقي الروابط فكان استعمالها نادراً ومنها ما لم يستعمل.

٤٠٥. مراعاة الموضوعية في الكتابة الأكاديمية: ليس جديداً أن نقول إن من أهم الأهداف التربوية السلوكية للمدرسة الثانية والمعاهد العليا التركيز على إبراز أهمية إبداء الرأي بموضوعية وتجرد من غير مبالغة أو ميل عاطفي، سواء أكان ذلك على مستوى الكتابة أم على مستوى الخطابة، إلّا أن معظم المقالات التي تفحصناها لهذه الدراسة ينقصها عنصر الموضوعية في المناقشة وفي التعامل مع الموضوع، والأمثلة على ذلك كثيرة نقتطف منها ما يلي:

"بالنسبة لوضع التعليم في الأردن جيد جداً فهناك كثير من الطلبة المتعلمين لكن هناك تكون الصدمة عندما لا يجدون وظيفة".

"وأما عن وضع التعليم في الأردن فهو ممتاز لأن نسبة كبيرة من المجتمع هي طلاب".

٦. الخلاصة: الكتابة المؤثرة الواضحة تتطلب توافر عدد من المهارات عند الكاتب، منها معرفة قواعد اللغة صرفاً ونحواً، ومعرفة الأنماط البلاغية والبيانية لتلك اللغة والقدرة على تحليل المعلومات وتصنيفها والإحساس العام بما يناسب الموضوع المراد الكتابة فيه.

ولا شك أن عدم إتقان هذه المهارات، وخاصة الأسلوبية منها، سيؤدي إلى كتابة نصوص ركيكة السبك، ضعيفة المفردات والتراكيب، غير مترابطة منطقياً وفكرياً، ويشوبها كثير من الغموض نتيجة للإيجاز المخل أو الإسهاب المفرط. وقد بينا في هذه الدراسة أنماطاً متعددة من الأخطاء الكتابية، والأسلوبية منها خاصة، التي يقع فيها الطلبة الجامعيون في التخصصات المختلفة، بما فيها تخصص اللغة العربية وآدابها، إلّا أن هذا الضعف الأكاديمي، والحق يقال، ليس قصراً على الطلبة العرب، بل أنه أصبح مألوفاً في كثير من جامعات العالم المتقدم ولا سيما البريطانية منها. ولكن هناك فرقاً واضحاً بين ما هو حادث هنا وما هو حادث هناك، فرغم أن ١٠% من الطلاب في جامعة جلاسجو Glasgow، على سبيل المثال، يعانون من مشكلات في الكتابة الأكاديمية، فقد ألفت لجنة لتقصي هؤلاء الطلبة ووضع الحلول لها[٩]، وقد أسست مراكز خاصة لتطوير كتابة الطلبة الأكاديمية، ومن أمثلة ذلك مركز جامعة بريستول وغيرها، ونحن إحساساً منا بتفاقم هذه المشكلة، وامتداد خطرها على مستوى المدارس والمعاهد العليا ندرك أن هذه المشكلة يجب أن ينظر إليها بجد، وأن توضع لها حلول جذرية شاملة.

٧. التوصيات: لا شك أن حلاً شاملاً وجذرياً لمشكلات الطلبة في الكتابة الأكاديمية لا يمكن أن يتحقق بين ليلة وضحاها، فالمشكلة عميقة الجذور متشعبة المصادر، والحل الشامل في مثل هذه الحالة يتطلب تصوراً شاملاً لبرنامج متكامل يشمل جميع المستويات التعليمية وتشارك فيه الجهات الرسمية وغير الرسمية، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وقد يكون من المفيد أن نقسم توصياتنا إلى قسمين رئيسين:

الأول: مجموعة العوامل غير اللغوية التي يمكن أن تكون مصدراً إيجابياً من مصادر الكتابة المؤثرة الصحيحة.

الثاني: مجموعة العوامل اللغوية والسلوكية المباشرة التي يجب مراعاتها عند تعليمنا التعبير في مدارسنا ومعاهدنا العليا.

٠١٠٧ العوامل غير اللغوية: وتشمل مجموعة العوامل النفسية والاجتماعية المتعلقة بالفرد والجماعة اللغوية من ناحية والعوامل التربوية والثقافية من ناحية أخرى.

٠١٠١٠٧ العوامل النفسية والاجتماعية: وهي مجموعة الاتجاهات والميول التي يكونها الفرد والمجتمع تجاه تعلم اللغة الأم وتعليمها، وتدخل في ذلك مهارة الكتابة. وهذه العوامل تتضمن نظرة الفرد والمجتمع إلى الكتابة السليمة المؤثرة وأهميتها في تأدية المعنى المقصود، وفي عدّها وسيلة مهمة من وسائل الاتصال الحديثة، ويمكن أن ينضوي تحت هذه العوامل أيضاً، قناعة الفرد بأن هناك فرقاً واضحاً بين الكتابة الجيدة الواضحة، وغيرها من صنوف الكتابة غير الناجحة في مجالات الوظيفة أو المهنة، ومن هنا ينبثق عامل آخر مهم وهو النظرة الجادة التي ينبغي للمؤسسات العامة والخاصة، أن توليها للمستوى الذي يجب

أن يكون عليه موظفوها من حيث إتقانهم اللغة العربية بشكل عام، والكتابة الجيدة بشكل خاص.

٠٢٠١٠٧ العوامل التربوية والثقافية: ويقصد بها مجموعة الأهداف المباشرة وغير المباشرة التي تسعى المؤسسات التربوية والتعليمية في الدولة إلى تحقيقها من خلال تعليم اللغة الأم بمهاراتها المختلفة، وخاصة مهارة الكتابة، والممارسات الميدانية التي يتبعها المربون والمعلمون لتحقيق تلك الأهداف، وباختصار شديد، فإن هذه العوامل تشمل كل ما يتعلق بالمناهج والخطط الدراسية لمراحل التعليم المختلفة، وأثرها في تكوين الاتجاهات والميول الإيجابية المشار إليها آنفا (انظر ٠١٠١٠٧ أعلاه).

أما العوامل الثقافية فيمكن تقسيمها إلى شقين: أحدهما يتعلق بالفرد نفسه، والآخر يتعلق بوسائل الإعلام المختلفة، أما بالنظر للعامل الأول فيتعلق بمدى وعي الفرد أهمية القراءة والمطالعة في شتى العلوم والفنون، وأثر ذلك في إكسابه أنماطاً جيدة ومتنوعة من الكتابة باطلاعه على أساليب كتابية مختلفة لنخبة من الكتاب الذين لهم باع طويلة في هذا المضمار.

أما فيما يتعلق بوسائل الإعلام عامة، والصحافة خاصة، فإن دورها كبير جداً في توفير فرص الاطلاع على الأساليب الجيدة المؤثرة، وفي زياد اهتمام الفرد بتحسين أسلوبه الكتابي على مستوى المقالة الأدبية أو العلمية، ولا شك أن هذه الوسائل تستطيع خلق اتجاهات إيجابية نحو الكتابة بتركيزها على الأعمال الجيدة المنتقاة، وبمطالبتها بكتابة ذات مستوى عال ممن يريد أن ينشر مقالة أو بحثاً أو تقريراً على صفحاتها.

٠٣٠١٠٧ الكتابة الأكاديمية في المعاهد العليا والجامعات: تدريس الكتابة الأكاديمية باللغة العربية وعدّها موضوعاً مهماً في جميع المعاهد

والجامعات، أسوة بما هو معمول به في كثير من الدول المتقدمة، يساعد في تطور هذا النوع من الكتابة وفي التخلص من كثير من مواطن الضعف فيها لدى الطلبة. والغريب في الأمر هنا، أن الدول المتقدمة تولي اللغات القومية للناطقين بها، ناهيك عن اللغة لغير الناطقين بها، أهمية كبيرة، وتقرر الجامعات هنالك مساقات خاصة لتعليم الكتابة الأكاديمية في شتى الموضوعات، أما جامعاتنا ومعاهدنا فيبدو أنها تفترض أن طلابها لا يعانون من أية مشكلة في التعبير أو الإنشاء لذلك لم تولِ هذه المهارة المهمة اهتماماً يذكر، وقد يرجع السبب في ذلك إلى اعتماد اللغة الإنجليزية، مثلاً، لغة للتدريس في جامعاتنا. إلا أن هذا لا ينطبق على تدريس جميع المواضيع، ومعروف أن عدم تدريس الكتابة باللغة العربية لأغراض أكاديمية يتنافى مع حركة التعريب والترجمة التي تنادي بها هذه الجامعات والمعاهد، لذلك فإن من واجب تلك المؤسسات، وخاصة أقسام اللغة العربية فيها، أن تأخذ زمام المبادرة وتولي الكتابة الأكاديمية باللغة العربية أهمية خاصة.

وخلاصة القول هنا أن مثل هذا التركيز على الجودة في الكتابة من مؤسساتنا المختلفة وعلى كل المستويات، سوف يخلق لدى الفرد انطباعاً إيجابياً نحو الكتابة الجيدة، ويولد لديه دافعاً قوياً لتحسين مستوى إتقانه لغته وأسلوبه الكتابي.

٠٢٠٧ العوامل اللغوية الأسلوبية: إن توصياتنا في هذا المجال تنبثق من مجمل الأخطاء اللغوية والأسلوبية التي أبرزنا معظمها في فصول هذه الدراسة، وهذه التوصيات تتناول الممارسات الفعلية لتدريس التعبير على

مستوى المقالة التعليمية في المدارس الثانوية والمعاهد العليا ويمكن تلخيص تلك التوصيات فيما يلي:

١. التركيز من خلال درس الإنشاء (التعبير) على خلق اتجاهات إيجابية نحو أهمية الكتابة المؤثرة الصحيحة، لا في مجال الأدب والشعر فحسب، بل في مجالات العلوم والهندسة والطب وغيرها. وهذا لا يعني بالطبع إهمال ذوي المواهب الأدبية والميول الشعرية بل يعني تعريف الطالب بأن المواضيع الأخرى يجب أن يعبر عنها بأسلوب مميز جيد.

٢. التركيز على المظهر العام للمقالة التعليمية والتنظيم الخاص بها، من حيث إنها تتكون من مقدمة ومتن وخاتمة، ومن حيث إن تلك الأجزاء تتكون من فقر مترابطة متناسقة.

٣. التركيز على الترابط المنطقي والفكري للمقالة، علاوة على ترابطها الشكلي والتركيبي، وذلك بالاهتمام بأدوات الربط المختلفة.

٤. التركيز على دقة المعلومات الواردة في المقالة وكيفية تصنيفها وتبويبها وتناولها بالمناقشة، وإبراز دور المناقشة الموضوعية وأهميتها في المقالة التعليمية.

٥. إبراز دور النحو والإعراب في الكتابة الجيدة الناجحة. ونوصي هنا بإبراز الدور الوظيفي للنحو مما يجعل له أهمية خاصة لدى الدارسين، وهذا بدوره يؤدي إلى تغيير نظرتهم إلى النحو وعدّهم إياه مادة جافة، ليس لها دور مهم في الحياة العامة.

٦. محاولة التيسير، ما أمكن، في تدريس بعض القضايا النحوية والصرفية المعقدة، تيسيراً وظيفياً لأن في ذلك خدمة للهدف العام

وهو الكتابة التواصلية المؤثرة، ولا يعني ذلك أن نعمد إلى التيسير المزاجي فتعتسفه صنيع سلامة موسى وأتباعه.[١٠].

الهوامش

(١) من أهم الأعمال الحديثة في الأسلوبية على سبيل المثال لا الحصر
Halliday and Hasan, **Cohesion in English**, 1976
Crystal etal, **Investigating English Style, 1969**
De Beaugrande et, Introduction to Text
Linguistics, 1981.
(انظر قائمة المراجع)

(٢) لقد ظهرت حديثاً بعض الدراسات العربية المتعلقة بالأسلوبية الحديثة إلا أنها سارت في الاتجاه التقليدي نفسه وهو التركيز على اللغة الأدبية، انظر على سبيل المثال:
محمد الطرابلسي: "إطار التطبيق في الأسلوبية العربية"
و"في منهجية الدراسة الأسلوبية".
عبدالله صوله: "اللسانيات والأسلوبية".

(٣) انظر مقالة مفيق دوشق: "دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي".
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني
العدد ٢٧

(٤) منها على سبيل المثال:
البيان والتبيين للجاحظ
وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز للجرجاني.
والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير.
والبلاغة الواضحة لعلي الجارم وجماعته.
والبلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري الشيخ أمين.

(٥) انظر كتاب علي جواد الطاهر وزميليه: التعبير والإنشاء ص٤٤.

(٦) المرجع نفسه ص٤٦. وانظر كتاب ماهر هلال: فخر الدين الرازي بلاغياً ص١٥.

(٧) انظر دلائل الإعجاز ص٤٨.

(٨) انظر كتاب بكري الشيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد: ص٥٢.

(٩) انظر Hobsbaum ص٧٣.

(١٠) انظر كتاب سلامة موسى: البلاغة العصرية واللغة العربية.

المراجع

أولا: المراجع العربية:

ابن دوريل، عدنان: اللغة والأسلوب، ١٩٨٠، دمشق.

الجارم، علي، وجماعته: البلاغة الواضحة، ١٩٦٠، دار المعارف، القاهرة

الجرجاني، عبدالقاهر: دلائل الإعجاز، ١٣٨١هـ، القاهرة.

الطاهر، علي جواد وزملاؤه: التعبير والأسلوب، ١٩٨٠، بغداد.

الطرابلسي، محمد الهادي: "إطار التطبيق في الأسلوبية العربية" في مجلة الموقف الأدبي ١٣٥/ ١٣٦، ١٩٨٢، دمشق.

في منهجية الدراسة الأسلوبية" في اللسانيات في اللغة العربية عدد ٤، ١٩٧٨، الجامعة التونسية.

دوشق، مفيق: "دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي" في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٢٧ لعام ١٩٨٥م.

صبولة، عبدالله: "اللسانيات والأسلوبية" في الموقف الأدبي ١٣٥/١٣٦، ١٩٨٢، دمشق.

شيخ أمين، بكري: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ١٩٧٩، دار العلم.

فارس، أحمد محمد، الكتابة والتعبير، ١٩٧٦، دار الفكر، بيروت.

فودة، علي وزميله: المرشد في كتابة الأبحاث، ١٩٧٥، دار الفكر.

موسى، أشرف: الكتابة العربية العلمية والأدبية، ١٩٧٨، مكتبة الخانجي القاهرة.

موسى، سلامة: البلاغة العصرية واللغة العربية، ١٩٦٤، القاهرة.

هلال، ماهر مهدي: فخر الدين الرازي بلاغياً، ١٩٧٧، وزارة الثقافة والفنون، بغداد.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Crystal, D. al: **Investigating English Style**, Longman, London

De Beaugrande, R. et al. **Introduction to Text Linguistics: London, Longman, 1981**.

Halliday, M.A.K. et al. **Cohersion in English**, London Longman 1976.

Hobsbaum, P. "Standards of Written Expression among Undergraduates", in

Williams, R. & Swales, J. **Common Ground: Shared Insterests in ESP and Communication Studies**, Pergamon Press 1984.